الجزء الثامن سورة الأعراف
سُورَةُ الْأَعْرَافِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْهُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

﴿ الـمـص ﴾ الحروف المقطّعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وأنه مركّبٌ من أمثال هذه الحروف، ومع ذلك عجز بلغاؤهم وفصحاؤهم عن الإتيان بمثله ﴿ حرج منه ﴾ ضيق، أي لا يكن صدرُك ضيّقاً من تبليغه خشية التكذيب ﴿ أولياء ﴾ من الأوثان والكُهّان ﴿ وكم من قرية ﴾ كثير من القرى أهلكناها لمّا كذبوا رسلهم ﴿ بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بياتا أو هم قائلون ﴾ ليلاً أو وقت القيلولة «الظهر» وهم مستريحون ﴿ دعواهم ﴾ دعاؤهم وتضرُّعهم ﴿ أرسل إليهم ﴾ فلنسألنّ الأمم ﴿ المرسلين ﴾ ولنسألنّ الرسل، وسؤال الأمم توبيخ، وسؤال الرسل تكريم، ولا ينجو أحد من السؤال ﴿ ثقلت موازينه ﴾ رجحتْ حسناتُه على سيئاته ﴿ خفت موازينه ﴾ رجحت سيئاته على حسناته ﴿ مكنكم في الأرض ﴾ جعلناها لكم مكاناً وقراراً ﴿ معايش ﴾ ما تعيشون به من المطاعم والمشارب ﴿ خلقناكم ثم صورناكم ﴾ خلقنا أباكم آدم من طين، ثم صوّرناه أبدع تصوير، في أجمل صورة، وأبدع خلق ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ سجود تحية وتكريم، إظهاراً لفضله.

تنبيه: المراد بالوزن وزنُ أعمال البشر، ولا غرابة في وزن الأعمال، فقد كشف لنا العلم الحديث، عن ميزانٍ للحرارة في جسم الإنسان، وميزانٍ للضغط، وميزان لحرارة الجو، وميزانٍ لسرعة الرياح، وميزان للزلازل، فهل نستبعد على قدرة الله وزنَ أعمال البشر!؟ ﴿ لم يكن من الساجدين ﴾ سجدت جميعُ الملائكة إلا إبليس اللعين، أبى واستكبر وكان من الكافرين.

الجزء الثامن سورة الأعراف

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ۚ وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ما الذي دعاك لترك السجود ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أنا أشرف من آدم وأفضل منه، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ اهبط من السماء ﴿الصَّاغِرِينَ﴾ الذليلين المهانين ﴿أَنظِرْنِي﴾ قال اللعين: يا رب أمهلني إلى يوم القيامة ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بسبب إضلالك لي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ﴾ لأقعدن لآدم وذريته على طريق الهداية والإيمان لأصرفهم عنه ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ اخرج من عالم القدس مذموماً، مطروداً من رحمتي ﴿فَوَسْوَسَ﴾ ألقى لآدم وحواء بطريق الوسوسة، بصوتٍ يشبه الهمس ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ ليظهر لهما ما كان مستوراً من العورات ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أقسم لهما بالله كاذباً خدعهما به ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يقطعان من ورق الجنة، ويلصقانه على أجسامهما، ليستترا به ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة، فكيف وثقتما بكلامه!؟ قاسَ اللعينُ قياساً سخيفاً، أن النارَ أفضلُ من الطين، وجهلَ أن الفضلَ إنما يكون بالطاعة، وامتثال الأمر!! فمن هو الآمرُ أليس اللّهُ ربُّ العالمين؟ ولو كان له عقلٌ لسارع إلى السجود، ولكنه لعناده وحماقته تكبّر وأبى.

توضيح وبيان: تقدّم معنا في سورة البقرة، أن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما هو من الجنّ، لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ولأن الملائكة لا يعصون أمر الله، وإبليس قد عصى، والملائكة ليس لهم ذرية، وإبليس له ذرية، وإنما كُلّف بالسجود لآدم، بأمر خاص توجّه له من رب العزة والجلال ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فتدبّر الأمرَ فإنه هام.!

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۚ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ لكم في الأرض سكنى واستقرار، إلى حين انتهاء أعماركم ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يستر عوراتكم كالسروال والقميص، ولباساً يزينكم وتتجمّلون به كالبُرْد والطيلسان ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ لباسُ الإيمان والخشية من الرحمن، أعظمُ وأفضلُ لباس، سمّاه لباساً بطريق الاستعارة البديعة، فإن طهارة الباطن أهمُّ من جمال الظاهر ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يغوينكم ويخدعنّكم بإضلاله ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ ينزع عنهما اللباس لتنكشف العورات، وتُنتهك الحُرُمات ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ الشيطانُ يبصركم هو وجنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ من حيث لا تبصرونهم أنتم ﴿فَاحِشَةً﴾ هي الطواف حول الكعبة المشرّفة عُراة، سمّاها (فاحشة) لأنها فعلة متناهية في القبح ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ توجّهوا بكلّيتكم لعبادة الله.

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: (كان العرب يطوفون حول البيت عُراة، والمرأةُ تطوف بالليل عُريانة، وتقول:

اليومَ يبدو بعضُهُ أو كلُّهُ ... فما بدا منهُ فلا أُحِلُّهُ

فأمر الرسولُ أن لا يطوفَ بالبيتِ عريان).

تنويرٌ وتبصير: التكشفُ والتعرّي سفهٌ وفجور، وغرضُ إبليس اللعين من وراء تكشف النساء، إشاعةُ الفاحشة بين البشر، وهذا ما يروّج له تلامذةُ إبليس، الذين يتفنّنون في إغراء النساء في التكشف، وخلع جلباب الحياء، والله يكشف لنا عن غرض إبليس بقوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ أي عوراتهما، وقد تحقق غرض إبليس، في هذه المسلسلات الخلاعية الماجنة، وفي مسابقات ملكات الجمال، والمجلّات الهابطة.

٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ البسوا ثيابكم لستر عوراتكم وتزيَّنوا ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند كل صلاةٍ وطواف ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في الأكل والشرب والزينة ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من حرّم المستلذات من المآكل والمشارب والملابس؟ ومن حرّم التجمّل بالثياب؟ ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هذه الزينة والطيبات مخلوقةٌ للمؤمنين، ويشاركهم فيها الكفارُ، وستكون خالصةً صافية للمؤمنين يوم القيامة ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ القبائح من المنكرات التي تناهى قُبْحُها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ جميع المعاصي والذنوب ﴿وَالْبَغْيَ﴾ العدوان على الناس وظلمهم ﴿سُلْطَانًا﴾ بدون حجة ولا برهان ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لكل أمة كذّبت رسولها، وقتٌ محدّد لهلاكها ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ﴾ إن جاءكم رسلي يرشدونكم لطريق الخير والسعادة ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يُصيبُهم حظُّهم مما قُدّر لهم من الأعمار والأرزاق ﴿رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ جاءتهم ملائكةُ الموت لقبض أرواحهم الشرّيرة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ قالوا لهم تهكُّماً وتوبيخاً: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ ادعوهم ليخلّصوكم من العذاب!! ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ قال الأشقياء المجرمون: لقد غابوا عنّا فلا ندري أين مكانهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ اعترفوا على أنفسهم بالكفر والضلال، في عبادة من لا يستحقُّ العبادة!! يقولون ذلك على سبيل التحسُّر والتفجع، لخسارتهم الفادحة يوم القيامة.

الجزء الثامن سورة الأعراف

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ
وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ادخلوا في أمم﴾ ادخلوا مع أمم أمثالكم من الفجرة في نار الجحيم ﴿لعنت أختها﴾ كلما دخلت طائفة النّار، لعنت الطائفة الأخرى التي أضلّتها ﴿ادّاركوا فيها﴾ تلاحقوا واجتمعوا جميعاً في نار جهنم ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ قال الأتباع للقادة الرؤساء: يا ربنا هؤلاء الذين أضلّونا ﴿فآتهم عذاباً ضعفاً﴾ ضاعفْ لهم العذاب، لأنهم سبب شقائنا وضلالنا ﴿قال لكلٍّ ضعفٌ﴾ العذاب مضاعفٌ للفريقين: للرؤساء، والأتباع ﴿أبواب السّماء﴾ لا يصعد لهم عملٌ صالح ﴿في سمّ الخياط﴾ لا يدخل الكفار الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا تمثيل بديع، لاستحالة دخول الكافر جنة النعيم، كما يستحيل دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة ﴿مهادٌ﴾ لهم من تحتهم فراشٌ من النار ﴿ومن فوقهم غواشٍ﴾ أغطية من النار من فوقهم، فالنار تحيط بهم من الأعلى والأسفل ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾ طهّرنا قلوب أهل الجنة من الحقد، والعداوة، والبغضاء، لأن الجنة دار الطُّهر والطهارة، لا يدخلها إلّا طاهر مطهَّر.

تنبيه: في الحديث الشريف: «إذا خلّص المؤمنون من النار، حُبِسُوا بقنطرةٍ بين الجنةِ والنّار، فيُقتصُّ لبعضهم من بعض، مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا - أي طُهِّروا من الذنوب - أُذِنَ لهم بدخول الجنة، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، إنَّ أحدَهُم أهدى بمنزلِهِ في الجنة، منهُ بمنزلِهِ كانَ في الدنيا» رواه البخاري ﴿هدانا لهذا﴾ هدانا للإيمان، لننال هذا النعيم الخالد ﴿أورثتموها﴾ صارت لكم ميراثاً دائماً بعملكم الصالح.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
٤٩ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ﴾ النداءُ يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ وجدنا ما أخبرتنا به الرسل من النعيم والكرامة حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب والهوان حقاً؟ ﴿قَالُواْ نَعَمۡ﴾ أعلن معلنٌ ونادى منادٍ على رؤوس الأشهاد، بأن لعنة الله على كل كافر فاجر ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناسَ عن الدخول في دين الإسلام الحقِّ ﴿عِوَجٗا﴾ يريدون أن يكون دينُ الله معوجًّا غير مستقيم، ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ بين أهل الجنة وأهل النار حاجز، وهو السور المذكور في القرآن ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾. ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وعلى أعالي هذا السور رجال ﴿يَعۡرِفُونَ﴾ يعرفون أهل الجنة بعلامتهم، وهي (بياض الوجوه)، وأهل النار بعلامتهم وهي (سواد الوجوه) ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا﴾ أغيثونا بشيء من الماء فقد احترقنا ﴿نَسِيَهُمۡ﴾ نتركهم في العذاب ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ كما تركوا الإيمان والعمل لهذا اليوم العصيب.

تنبيه: المرادُ من الآية أن الله يتركهم في العذاب، كما تركوا العمل للآخرة، ويعاملهم معاملةَ المنسي، ولا يراد بالنسيان هنا حقيقتُهُ، وهو ذهابُ الشيء من الذاكرة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ قال ابن عطية: النسيانُ في هذه الآية بمعنى الترك، أي نتركهم في العذاب، كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم، شبّه تعالى حالهم، بحال من يغضب عليه المليكُ، فيلقيه في السجن، ثم يتركه ولا يسأل عنه.!

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ
وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ جئنا أهل مكة بكتاب معجز «القرآن العظيم» ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بيّنا معانيه ووضّحنا أحكامه، عن معرفةٍ منا ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ ما ينتظرون إلّا عاقبة ما وُعدوا به من العذاب، ﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا العمل بالقرآن وضيّعوه ﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ جاءتنا الرسل بالأمر الحقّ فلم نؤمن بهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ هل لنا اليوم شفيع يشفع لنا؟ أو عودة إلى الدنيا لنعمل صالحاً؟ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً بالمعنى اللائق به، من غير تشبيهٍ ولا تعطيل ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغطّي الليل على النهار فيذهب بضيائه ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يطلبه سريعاً حتى يدركه، فكأن الليلَ والنهارَ فارسان يتسابقان ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مظهرين الضراعة والذلة والخشوع ﴿نُشُرًا﴾ تبشر بنزول الغيث والمطر ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أحيينا الأرض بالمطر المدرار، كذلك نخرج الموتى من قبورهم!!

تنبيه: كثيراً ما يضرب القرآنُ المثلَ للبعث بعد الموت، بالأرض الميتة تحيا بالغيث والمطر، لكمال التشابه بينهما، وهو أمرٌ مشاهد محسوس، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهكذا يذكّرنا الله بما نراه في الدنيا، من خروج النبات والزروع والثمار، بالماء الهاطل من السماء، الذي تحيا به الأرض بعد جدبها ويبسها، لتذكير البشر بالبعث بعد الموت.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ نَكِداً: قليلاً وبعُسْرٍ ومشقّة، هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ للمؤمن والكافر، فالمؤمن كالأرض الكريمة التربة، يخرج النباتُ فيها وافراً حسناً، والكافرُ كالأرض الخبيثة التربة، لا يخرج النبات فيها إلّا قليلاً، وبعسرٍ ومشقة ﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ نكرّرها بأساليب مختلفة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ السادة والأشراف من قومه ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ لم يقل: لستُ ضالاً، وإنما جاء بأسلوب في غاية الحسن لنفي أيّ شائبة من شوائب الضلال لحقت به، ولو بمقدار الذرة ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أتحرّى ما فيه صلاحكم، قولاً، وفعلاً ﴿يُنذِرَكُمْ﴾ يخوفكم عذاب الله ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ ولتتخافوا ربكم بامتثال أوامره ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أنجيناه والمؤمنين معه في السفينة ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمي القلوب عن معرفة الحق ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ في خفة عقل، وسخافة رأي، والعمى يكون في البصر، و﴿عَمِينَ﴾ جمعُ عَمٍ وهو أعمى القلب والبصيرة، قال في لسان العرب: ورجلٌ عَمٍ: إذا كان أعمى القلب، ورجلٌ عَمِيُ القلب: أي جاهل، وأما الأعمى فهو الذي فَقَد البصر ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ فهذا خاص.

تنبيه: قولُ الله عزّ وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

قال ابن عباس: هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمؤمن طيّب، وعملُه طيّب، كالأرض الطيّبة، ثمرها طيب، والكافر خبيثٌ، وعملُه خبيثٌ، كالأرض السَّبخة المالحة، التي لا خير فيها ولا بركة، ولا يُنتفع بشيء منها، إلا بظهور الحشرات والبعوض.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ أوامر الله ونواهيه ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ بالغ النصح لكم، أمينٌ في تبليغ دعوة الله ﴿خُلَفَآءَ﴾ استخلفكم في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ من بعد إهلاك قوم نوح ﴿بَصْۜطَةً﴾ زاد في أجسامكم ضخامةً وقوة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ تذكّروا نعم الله الجليلة عليكم، واشكروه عليها ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ هل نهجر عبادة الأصنام والأوثان؟ ﴿رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ حلَّ بكم عذاب الله وغضبه ﴿ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ نزول العذاب، وأنا أنتظر ما يحلُّ بكم من عقاب الله وغضبه ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ استأصلناهم بالكلّية فلم نبق منهم أحداً، وقطعُ الدابر كنايةٌ لطيفة عن إهلاكهم واستئصالهم جميعاً ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة واضحة ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ هذه الناقة معجزتي إليكم، خُلقت من صخرٍ أصمَّ، وإضافتُها إلى الله للتشريف والتكريم، ومعنى «آية» معجزة دالة على صدقي.

توضيح: طَلَب قوم صالح من نبيِّهم معجزة خارقة، واقترحوا عليه أن يشقَّ لهم صخرة عظيمة، ويُخرجَ لهم منها ناقةً حاملاً تلد أمامهم، حتى يصدِّقوه، فدعا اللّٰه فخرجت الناقة، فكانت معجزة باهرة كما طلبوا ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لا تتعرضوا لقتلها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ينزل بكم عذابٌ شديد موجع، ويُروى أن (قوم صالح) أعطوه العهود والمواثيق أن يؤمنوا به، إن أجابهم لذلك، فدعا الله وظهرت المعجزة، ومع ذلك أقدموا على قتلها فأهلكهم الله، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أسكنكم وأنزلكم في أرض الحِجْر - بين الحجاز والشام - ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تبنون في سهولها القصور الرفيعة ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ لسكناكم، وإنما نحتوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، لأن الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم ﴿ءَالَاءَ اللَّهِ﴾ اذكروا نِعَمَ الله عليكم ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ ولا تفسدوا في الأرض إفساداً ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ قتلوا الناقة بسهم رموها به ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن طاعة الله ﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة التي دمَّرتهم ﴿جَاثِمِينَ﴾ موتى هامدين لا حَرَاكَ بهم ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ الفعلة الشنيعة المتناهية في القبح، وهي «اللواطة»؟ ﴿مَا سَبَقَكُم﴾ ابتكرتم هذه الفعلة القبيحة فلم يفعلها أحد قبلكم ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحدّ في البغي والإجرام..

توضيح وتذكير: دلت الآية على أنهم أول مخترع لهذه الجريمة الشنيعة، فلم يفعلها قبلهم أحد من البشر، تعافها طباع البهائم، وقد عادت إلى الظهور في الجاهلية الحديثة، وقد سنَّت بعض البلاد الغربية، قانوناً بإباحة اللواطة، يكون النكاح فيه بطريق رسمي مسجّل، ويا لها من انتكاسة خُلُقية شنيعة!!

قال عَمْرو بنُ دينار: ما نَزَا ذكرٌ على ذكر قبل قوم لوط، وهم أول من فعل هذه الجريمة. وقولُه تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾؟ لمَّا كان هذا العملُ الشنيعُ، مركوزاً في العقول فُحْشُه، أتى به معرَّفاً بالألف واللام ﴿الْفَاحِشَةَ﴾ بخلاف الزنى فإنه قال فيه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ أتى به منكَّراً، ودلَّ هذا على أن اللواطة، أفحشُ وأقبحُ من الزنى.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتطهّرون عن إتيان الرجال في الأدبار، يقولون ذلك سخريةً واستهزاء بلوط عليه السلام وقومه، عابوهم بما يُمدح به الإنسان ﴿مِّنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الهالكين، الباقين في العذاب، لأنها كانت كافرة ﴿مَّطَرًا﴾ حجارة من سجيل، نزلت عليهم من السماء كالمطر الزاخر، شُبِّه العذاب بالمطر المدرار لكثرته وشدته ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معجزة تدل على صدقي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ لا تظلموا الناس وتُنقصوهم حقوقهم ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تتوعّدون من أراد المجيء إلى شعيب، بقتله أو سلب ماله ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون أن يكون دين الله أعوج غير صالح ﴿قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ كنتم قلّة أذلّة، فأصبحتم كثرة أعزة ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الهلاك والدمار، وهو تهديد شديد..

تنبيه: جَمَع الله لقوم لوط أنواعَ العذاب: ١ ـ الحجارة من السماء، نزلت عليهم كالمطر المدرار، وهي حجارةٌ من سجيل أشدُّ فتكاً من الرصاص. ٢ ـ وقلبَ بهم دورهم وبيوتهم، فجعل عاليها سافلها، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ وفي قوله سبحانه: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ وصفٌ لهم بالبهيمة الصِّرفة، وتنبيه على أن العاقل، ينبغي أن يكون الدافع له إلى المباشرة الجنسية، طلب الولد، وبقاء النسل، لا قضاء الشهوة فحسب، فإنها من عمل الحيوان.!

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿الْمَلَأُ﴾ السادة والأشراف من قوم شعيب ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المستكبرون على الله، وعلى الإيمان برسوله ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾ أنت وأتباعك من الوطن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ أو لترجعنّ إلى ديننا بعبادة الأصنام ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أتجبروننا ولو كنا كارهين لذلك؟ ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ احكم بيننا وبينهم بحكمك العادل ﴿الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة العظيمة ﴿جَاثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميّتين ﴿يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأنهم لم يعيشوا في ديارهم منعّمين، ولم يقيموا فيها ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ كيف أحزن على قوم كافرين ﴿بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ عاقبناهم بالبؤس والفقر والمرض ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ كي يتذلّلوا ويخضعوا ويتوبوا إلى الله من ذنوبهم ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ حتى كثروا ونموا عددهم وازداد ﴿بَغْتَةً﴾ أخذناهم بالعذاب فجأة، من حيث لا يدرون ولا يعلمون، والأخذُ بالعقاب والعذاب فجأةً وبغتةً، أشدُّ ألماً، وأعظم حسرة.

تنبيه: كان قوم شعيب مع نقصهم للمكيال والميزان (قُطّاعَ طريق) يسلبون أموال الناس، ويتوعدونهم ويهدّدونهم، ويُخيفون المارة، ويمنعون من أراد الإيمان، ولهذا قال تعالى: ﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾.

قال ابن عباس: كانوا يقعدون على الطرقات، المفضية إلى (شعيب) عليه السلام، فيتوعّدون من أراد المجيء إليه، ويصدُّونه ويقولون له: إنه كذاب فلا تذهب إليه، على نحو ما كانت تفعله قريش مع رسول الله ﷺ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بركاتُ السماء: المطرُ، وبركاتُ الأرض: النباتُ والثمارُ، والمرادُ يوسّع عليهم الخير من كل جهة ﴿بَأْسُنَا﴾ هل أمنَ المكذّبون لرسل الله، أن يأتيهم عذابنا ليلاً، وهم نائمون غافلون عنه؟ ﴿بَأْسُنَا ضُحًى﴾ وهل أمنوا أن يأتيهم عذابنا نهاراً جهاراً، وهم يَلْهون ويعبثون؟ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ هل أمنوا استدراج الله لهم بالنعمة، ليهلكوا؟ سمّى إنعام الله عليهم بأنواع النعم، مع كفرهم بالله (مكراً) لأنه يشبه فعلَ من يمكر بعدوّه، وهذا هو الاستدراج ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المفرطون في الخسران ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ من بعد هلاك أهلها، ويخلفونهم فيها ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ نختم على قلوبهم فلا يدخلها نورٌ ولا هداية ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تبصُّر وتفكُّر، لأنهم كالصُّمّ الذين لا يسمعون الكلام ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ هذه أخبار الأمم المهلكة ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جاءتهم الرسل بالمعجزات الواضحات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ استمرُّوا على التكذيب، من حين مجيء الرسل، إلى أن ماتوا على الكفر والضلال.

قال المفسرون: كان سبب سكنى بني إسرائيل بمصر، مع أن أباهم (يعقوب) عليه السلام، كان بالأرض المقدّسة، أن الأسباط ـ أولادَ يعقوب ـ جاءوا مصر إلى أخيهم يوسف، فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم، واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحبَّ موسى أن يخلّصهم من هذا الأسر، والذلّ والهوان، ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة، وطن آبائهم الأولين.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿حقيقٌ﴾ جديرٌ بي وحقٌّ عليَّ ﴿ببينة﴾ حجة قاطعة ومعجزة ساطعة من عند الله، وهي العصا واليد ﴿فأرسل معي﴾ أطلق سراحهم من العبودية لك، ﴿ثعبانٌ مبينٌ﴾ حية عظيمة ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من فتحة صدره، فإذا لها نور ساطع، يضيء ما بين السماء والأرض ﴿قال الملأ﴾ قال أشراف قومه: هذا عالم بالسحر ماهر فيه ﴿أرجه وأخاه﴾ أخِّر النظر في أمرهما، حتى ترى رأيك الرشيد فيهما ﴿المدائن حشرين﴾ وأرسل في أطراف البلاد من يجمع لك السحرة ﴿سحّار﴾ أعيت الناس ﴿سحروا أعين الناس﴾ خيَّلوا لها ما يخالف الحقيقة ﴿واسترهبوهم﴾ أفزعوهم وأرهبوهم إرهاباً شديداً ﴿تلقف ما يأفكون﴾ تبتلع بسرعة العصيَّ والحبال، ومعنى ﴿يأفكون﴾ يكذبون ﴿وانقلبوا صاغرين﴾ رجعوا ذليلين لأنهم غُلبوا ﴿وألقي السحرة﴾ خرُّوا ساجدين لله ربِّ العالمين، لأن الحقَّ بهرهم، فلم يتمالكوا أنفسهم من السجود، والتعبيرُ بلفظ (أُلقي) يشير إلى المسارعة دون تردُّد، كأن أحداً دفعهم وألقاهم، وأعلنوا إيمانهم أمام الطاغية الجبَّار ﴿قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾.

الجزء ٩ الحزب ١٧

قال ابن إسحاق: صُفَّ أمام فرعون خمسةَ عشرَ ألف ساحر، مع كل ساحرٍ حبالُه وعصيُّه، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرَ فرعون، وبصَرَ موسى، ثم أبصارَ الناس، ثم ألقى رجلٌ ما في يده من العصيِّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي، ولهذا قال تعالى ﴿وجاءو بسحر عظيم﴾ تفسير الطبري.

الجزء السابع — سورة الأعراف

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ قال فرعون الجبار للسحرة: آمنتم بموسى قبل أن تستأذنوني؟ ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ يعني أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، ويجعله أشلّ وأعرج ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ يعلّقهم على الخشب حتى الموت ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون إلى الله لا محالة، ونفّذ ذلك فيهم، **قال ابن عباس**: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء بررة ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ اصبُبْ علينا الصبر حتى يغمرنا ويفيض علينا، طلبوا من الله أبلغ أنواع الصبر ليثبتوا أمام جبروت فرعون ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ ويتركوا عبادتك، وعبادة آلهتك ﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ نقتّل أبناءهم الذكور لئلا يتناسلوا، ونستبقي نساءهم للخدمة ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ عالون عليهم بالقهر والغلبة ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وأتباعه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ بالقحط والجدب ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بإذهاب الثمار من كثرة الآفات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ كي يتّعظوا وينزجروا عن كفرهم وضلالهم، ويرجعوا إلى ربهم.

قوله تعالى: في آية (٩٩) من هذه السورة ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ سمّى تعالى إمهالَه، واستدراجَه لهم بأنواع النعم (مكراً) لأنه يشبهُ صورة من يمكر بصاحبه، ليوقعه في المهلكة، ففي الآية استعارةٌ بديعة، **قال الحسن البصري**: المؤمنُ يعمل بطاعة الله، وهو مشفقٌ خائفٌ، وَجِلٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي والموبقات وهو مطمئنٌ آمن. اهـ تفسير ابن كثير.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخصبُ والغنى ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نستحقُّها وهي بسعينا وحظِّنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ ينشاءموا بموسى والمؤمنين، ويقولون: هذا بشؤمهم ﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ما يصيبهم من خير وشر، من قِبَل الله، وليس بشؤم موسى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ المطر الشديد، والسيل الجارف الذي جاءهم كالطوفان ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ الذي أكل زرعهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس الذي نخر حبوبهم، وقيل: هو الفمل المعروف ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ التي ملأت بيوتهم، وعكّرت حياتهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياههم دماً كلما استسقوا الماء انقلب إلى دم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ علامات واضحة تشير إلى غضب الله عليهم ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ استكبروا عن الإيمان لغلوّهم في الإجرام ﴿ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهودهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا وخرّبنا ﴿يَعْرِشُونَ﴾ من الجنّات والمزارع.

قال المفسرون: أرسل الله على فرعون وقومه أنواع البلاء، عقوبةً لهم على جرائمهم، أرسل عليهم ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو السيلُ الدافقُ، الذي خرّب بساتينهم ومزارعهم، وقضى على الثمار، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ الذي حَصَد ما بقي من الزروع والحبوب ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس الذي نخر لهم ما جمعوه من الحبوب ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ حتى ملأت بيوتهم وطعامهم، وكانت تدخل عليهم كالذباب، وإذا جلسوا لطعامهم وثبتْ الضفادعُ نحو أفواههم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياههم دماً، فما يستقون من بئر ولا نهر، إلّا وجدوه دماً أحمرَ عبيطاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ يعني دلائل وعلامات واضحات، تشير إلى سخط الله عليهم، تفسير ابن كثير.

الجزء ٩ سورة الأعراف

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرنا بهم البحر الأحمر جهة خليج السويس ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ مرُّوا على أقوام يقيمون على عبادة تماثيل من البقر ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده كما لهؤلاء أصنام يعبدونها؟ استحسنوا ما رأوا لأنهم من صنف البقر، والجنسُ يألفه الجنسُ، لا يميّزون بين الهدى والضلال، ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تجهلون عظمة الله، وما يجب أن يُنزَّه عنه ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ هالك ومدمّر عملهم وعبادتهم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم أفظع أنواع العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ امتحان ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ الوقت الذي وعده الله فيه للمناجاة ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كنْ خليفتي فيهم إلى أن أرجع ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ تفتّت الجبل وتناثر من هيبته تعالى ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ سقط مغشيّاً عليه ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك يا رب أن يراك أحد في الدنيا.

صد الحزب ١٧

قال المفسرون: لما أغرق الله فرعونَ، ونجّى موسى ومن معه من المؤمنين، مرُّوا على قوم من العمالقة الكنعانيين، الذين أُمر موسى بقتالهم، وهم يعكفون على أصنام يعبدونها من دون الله، فقالوا لنبيهم: اجعل لنا صنماً نعبده، كما لهؤلاء أصنام!! وهذا القولُ منهم يدلُّ على غاية السَّفه والجهل، وكأنهم استحسنوا عبادة الأصنام، ولهذا ردَّ عليهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي قوم سفهاء جهلة، لا تعرفون عظمة الله وجلاله!تعجَّب موسى من كلامهم القبيح، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكَّده بـ (إنَّ) المفيدة للتأكيد، لأنه لا جهل أعظمُ مما رأى منهم ولا أشنع!!

الجزء التاسع ... سورة الأعراف

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟
بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟
سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك على الناس بالرسالة الإلهية ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ بتكليمي إيّاك بدون واسطة ﴿فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ ألواح التوراة ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ واجتهاد ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ بأحسن ما فيها ممّا أجرُه أكثر ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أرضَ مصر التي كانت منازل الفاسقين «فرعون وقومه» ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ سأمنع المتكبرين وأحول بينهم وبين فهم آياتي التنزيلية ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ طريق الهدى والرشاد لا يسلكونه ﴿سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ وإن يروا طريق الغيّ والضلال سلكوه ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلتْ أعمالهم الخيريّة من إحسان، ومعروف، وصلة رحم ﴿خُوَارٌ﴾ صوتٌ كصوت البقر، وهذا العجل صاغه لهم السامريُّ المنافق وصوّره بصورة عجل، ولكنه كان جسداً لا روح فيه، وذكرُ الجسد يدلُّ على ذلك ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ ندموا على جنايتهم أشدَّ الندم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟﴾ شعروا بجنايتهم الكبرى حيث عبدوا العجل، قالوا معترفين بذنبهم، ملتجئين إلى ربهم: لئن لم يتداركنا ربنا برحمته، لنكونَنَّ من الأشقياء الخاسرين.

تنبيه: لقد حكى تعالى ضلالَ بني إسرائيل، الذين عبدوا العجلَ في غيبة نبيِّ الله موسى عليه السلام، الذي صاغه لهم (السامريُّ) والعجلُ ذكرُ البقر، وقد احتال بإدخال الريح فيه، حتى كان يُسمع له صوتٌ كصوت البقر، فكانوا كلما خارَ سجدوا له، وإذا سكت رفعوا رءوسهم، وهذا العمل منهم يدلّ على غاية السَّفه والجهل، فكيف طاوعتهم نفوسهم عبادةَ العجل، لولا أن رءوسهم خاوية من العقل!؟

﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ رجع موسى من المناجاة غضبان على قومه ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ بئس ما فعلتموه من عبادة العجل وقت غيبتي ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرح الألواح لِمَا عراه من شدة الغضب ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أخذ بشعر رأس أخيه «هارون» يجرُّه إليه ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ يا ابنَ أمي إن القوم استضعفوا قوتي وحاولوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ فلا تسرّهم بما تنال مني من المكروه، حتى يشمتوا بي ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ عبدوه ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ أما الغضب فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة، حتى يقتل بعضهم بعضاً ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ وأما الذلة فقد ضُربت عليهم إلى يوم القيامة ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ سكن الغضبُ عنه وزال ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلةُ الشديدة، وهم الذين طلبوا رؤية الله، فأماتهم الله ثم أحياهم بدعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

تعبيرٌ بديع: ما أجمل هذا التصوير الفنيّ البديع في قوله سبحانه: ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ فقد شبّه الغضبَ بإنسانٍ هائج، يُرعد ويزمجر، يريد أن يبطش بخصمه، وصوتُه يرتفع عالياً، طالباً الانتقام، ثم اختفى ذلك الصوت وسكت، ففي الآية الكريمة (استعارة لطيفة) يستشعر جمالَها كلُّ من تذوّق حلاوة الفصاحة والبيان، وإنما جاء هذا الإبداعُ، عن طريق (الاستعارة اللطيفة) ولو قال: زال عنه الغضبُ، لما كانت هذه الروعة في التصوير الفني البديع.

وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

الحزب ١٧ الحزب

﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ تُبنا ورجعنا إليك من جميع ذنوبنا ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ﴾ أعذب به العصاة المجرمين ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ عمّت الخلق كلّهم، فالرحمة واسعة، لأنها صفة الذات المقدسة، وأمّا العذابُ فبمقتضى معاصي العباد ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ سأجعل هذه الرحمة خاصة في الآخرة بمن اتقى الله، وآمن بخاتم الأنبياء، ثم بيّن صفاتهم، فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ يتبعون محمداً ﷺ الذي يجدون أوصافه في التوراة والإنجيل، ﴿ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، هذا وصفه في الكتب السماوية ﴿إِصْرَهُمْ﴾ التكاليف الشاقة التي كانت على بني إسرائيل، ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ أجلّوه وعظّموه ووقّروه، ونصروا دينه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ يحكمون، وأوصافُ رسول الله ﷺ مذكورة في التوراة والإنجيل، بمثل ما هو في القرآن، كما ورد ذلك عن عبد الله ابن عمرو بن العاص في حديث البخاري.

لطيفة: في قوله تعالى: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ دلالة واضحة قاطعة، على أن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وفي الحديث الشريف «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي...» وذكر منها قوله: «وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامة» رواه البخاري.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فرَّقنا بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة فرقة ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ قبائل من أولاد يعقوب، لترجع كلُّ قبيلة إلى رئيسها، ويخفَّ أمرهم على موسى ﴿ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ طلبوا منه الماء، وهم في الصحراء فضرب الحجر ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فانفجرت منه عيون الماء (١٢) عيناً بعدد القبائل، وهذه معجزة عظيمة لموسى، حيث تدفَّقتْ عيونُ الماء كالأنهار، من حَجَرٍ أصمَّ ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ عرفت كل جماعة منهم عينهم الخاصة بهم ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بلدة بيت المقدس ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ قولوا عند دخولكم: يا ربَّنا حُطَّ عنا ذنوبنا، فبدَّل الظالمون أمر الله، وقالوا: حنطة بدل ﴿حِطَّةٌ﴾ سخريةً واستهزاء ﴿رِجْزًا﴾ أرسلنا عليهم عذاباً شديداً من السماء «الطاعون» الذي حصد منهم أربعةً وعشرين ألفاً في ساعة واحدة ﴿يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يعتدون فيصطادون السمك يوم السبت ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ وفي غير يوم السبت، لا تظهر لهم الأسماك، والمراد بالقرية هنا: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ (بحيرة طَبريَّة) والسؤال سؤالُ تقريع وتوبيخ، لأنهم كانوا يُخفون هذه الحادثة، ويقولون: إن بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان، فنزلت الآية موبِّخةً لهم، ومقرِّرة لما جرى منهم، لتكون معجزةً لرسول الله ﷺ فيما أخفَوْه، وقد انقسم أهلُ هذه القرية ثلاثة أقسام: فرقةٌ اعتدتْ، وفرقةٌ وعظتْ، وفرقة سكتتْ، قال ابن عباس: (ما أدري ما فعل الله بالفرقةِ الساكتة، أنَجوْا أم هلكوا؟ قال عكرمة: فلم أزل به حتى عرَّفته أنهم نَجَوْا، لأنهم كرهوا ما فعله أولئك، فكساني حُلَّة)، رواه الطبري، وانظر تفسير الشوكاني.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ لمَ تنصحون قوماً؟ ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ سيهلكهم لأنهم عصوا أمره بالصيد يوم السبت؟ فلا فائدة في النصح والتذكير ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ننصحهم لنعذر عند الله بقيامنا بواجب النصح، ﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا ما ذكّرهم به صلحاؤهم ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ نجّينا الناهين، وأخذنا العصاة المجرمين بعذاب شديد وجيع ﴿يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم وإجرامهم ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ فلما استعصوا وتكبّروا عن ترك ما نُهوا عنه ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مسخناهم إلى قردة وخنازير ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلَم إعلاماً بيّناً يشبه الأذان ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليسلطنّ على اليهود إلى قيام الساعة ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ من يذيقهم أسوأ أنواع العذاب.

تنبيه: لقد سلّط الله على اليهود بختنصّر المجوسي، وسلّط عليهم ملك الروم فأفنى كثيراً منهم، وسلّط عليهم (هتلر) النازي فاستباح حماهم، ولا يزال وعد الله سارياً عليهم إلى أن تقع(المعركةُ الفاصلة) بين المسلمين واليهود، وتطهّر الأرضُ من رجسهم، تحقيقاً لنبوءة خاتم المرسلين ﷺ، الذي أخبر عن ذلك بقوله: **"لا تقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمونَ اليهودَ، فيقتلهم المسلمون.."** الحديث رواه مسلم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرّقناهم في البلاد وشرّدناهم فِرَقاً وطوائفَ، ليس لهم وطن يسكنونه، حتى لا تكون لهم شوكة، وما اجتمعوا في أرض فلسطين اليوم، إلا ليذبحوا على أيدي المؤمنين إن شاء الله تعالى ﴿عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ يأكلون السُّحتَ والحرام، ويقولون متبجّحين: سَيَغْفر اللهُ لنا لأننا شعْبُه المختارُ!! وهذا اغترار منهم، وكذبٌ على الله.!

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ اقتلعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رءوسهم ﴿ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ وقلنا لهم: خذوا التوراة واعملوا بما فيها بجدٍّ وعزيمة، وإلّا سحقناكم به، لأنهم أبوا تطبيق أحكام التوراة ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ حَمَلَ بعضُ المفسرين هذه الآية على التمثيل، يعني أن الله دلّهم بمخلوقاته على أنه خالقهم، فقامت مقام الإشهاد، **وقال بعضهم**: خلق الله آدم وأخرج ذريته من صلبه، وأخذ عليهم العهد أنه ربهم، حينما كانوا في عالم الذرّ ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج من دين الله ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ صار في زمرة الضالين، الراسخين في الغواية، وهو «بلعم»، باع دينه بعَرَضٍ من الدنيا حقير، وقد ضرب الله له المثل بالكلب، إن طردته وزجرته لهث، وإن تركته على حاله لهث، وهو تمثيل في منتهى القبح والشناعة. ! **قولُه تعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ للمفسرين في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أن الله لمّا خلق آدم، استخرجَ من صلبه ذريته، وهم أمثالُ النمل، وأخذ عليهم العهدَ بأنه ربُّهم، فأقرُّوا وشهدوا بذلك. **والثاني**: أن هذا من باب (التمثيل) لِمَا وضع الله في الكون، من الأدلة والبراهين، على وجوده ووحدانيته، لحديث **«كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة»** رواه البخاري، **قال ابن كثير**: دلت الأحاديث على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميّز بين أهل الجنة والنار، وأمّا الإشهادُ فإنما هو فَطْرُهم على التوحيد، وقد فسّر الحسنُ البصري الآية بذلك، ولهذا قال: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم، وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره، أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل. اهـ.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقنا لها خلقاً كثيراً ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قلوبهم معمية لا يفهمون الحق ولا يدركونه ﴿أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله نظر اعتبار ﴿آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع متدبر ومتّعظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ هم كالبهائم لا يعرفون لماذا خُلقوا؟ بل هم أسوأ حالاً من البهائم، لأن البهائم تعرف منافعها ومضارها، وهؤلاء لا يميّزون بين النافع والضارّ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يميلون في أسمائه من الحقّ إلى الباطل، فقد اشتقُّوا اللّاتَ من (الله) والعُزّى من (العزيز) ومناة من (المنّان) ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نستنزلهم نحو الهلاك، شيئاً فشيئاً، والاستدراج: الأخذُ بالتدريج ﴿مِن جِنَّةٍ﴾ يعني من جنون، والمراد بالصاحب محمد ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يتحيّرون ويتردّدون ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى مجيئها وإتيانها؟ ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ شديد الطلب لمعرفتها، وكأنّ أمرها يهمُّك وحدك!!

توضيح: من تفكّر في الأمثال المضروبة في القرآن، يرَ بوضوح وجلاء أن المثلَ الذي ضرَبه الله لعلماء السّوء، أقبحُ وأبشعُ وأشنعُ، ممّا ضربه لعبدة الأوثان والأصنام، مثّل لعُبّاد الأوثان بالعنكبوت اتخذت بيتاً، وبالذباب الذي يهوي على الطعام، أمّا علماء السّوء، فقد مثّل لهم بالكلب ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ وبالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة، ولا يناله منها إلّا التعبُ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ لأن علماء السّوء بتهالكهم على الدنيا، والمناصب الرفيعة، أصبحوا كالكلاب والحمير، وكفى بهذه الأمثال تقبيحاً وتشنيعاً لمن باع دينه بدنياه!!.

﴿مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حـــواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يأنس إليها ويطمئن بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ وَاقَعها، والتغشِّي كنايةٌ عن الجماع ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يريد الجنين ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ استمرت بحمله لا تجد به ثقلاً ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ﴿صَالِحًا﴾ ولداً صالحاً سويَّ الخِلْقة، لنشكرنك على نعمائك ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ جعـــل أولاد آدم لـــلّه شركاء، حيث عبدوا الأصنام والأوثان، وليس آدم وحواء بدليل قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بصيغة الجمع أي عمَّا يشرك به البشر، **قال الحسن البصري**: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوَّدوهم ونصَّروهم، وأشركوا بالله ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ﴾ الآيـة للتقـريع والتوبيخ، أي هل لهذه الآلهة المزعومة أرجل تمشي؟ أم أيدٍ تفتك وتبطش؟ أم آذان تسمع بها الأصوات؟ إنها جمادات، فكيف تكون آلهة؟ ثم إنها لا تستطيع نصرهم، ولا أن تدفع عن نفسها من أرادها بسوء، فهي في غاية العجز والضعف، فكيف يليق بالعاقل عبادتها؟

تنبيه هام: قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ هذا في ذرية آدم، وليس بآدم وحواء، بدليل قوله تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالجمع، ولو كان في آدم وزوجه لقال: يشركان، ومن المستحيل أن يستجيب آدم ـ وهو نبيٌّ مكرَّم ـ لأمرٍ يخدش الإيمان، بل هو شرك بالرحمن، فيسمي ولده «عبد الحارث» استجابة لوسوسة إبليس، **قال الحسن البصري**: (كان هذا في بعض أهل الأديان، ولم يكن بآدم عليه السلام) هذا هو الحقُّ الذي عليه الجمهور، وانظر تفسير ابن كثير.

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾ الذي يتولّى حفظي ونُصرتي هو ربُّ العزة والجلال ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يتولّى عباده الصالحين بالحفظ والتأييد ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ الأوثان التي تعبدونها من دون الرحمن ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ لأنها جمادات لا تحسُّ ولا تسمع ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تراهم يقابلونك بعيون مصوَّرة، كأنها ناظرة وهي جماد لا تبصر ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أمرٌ للرسول ﷺ بمكارم الأخلاق، أي خذ بالسهل اليسير في معاملات الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل، المستحسن من الأقوال والأفعال ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أعرض عن السفهاء ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ وسوسة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ تحصَّنْ بالله والتجئ إليه ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ لا يكفُّون عن إغوائهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ معجزة مما اقترحوا وطلبوا

﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ هلَّا أتيتَ بها واخترعتها من تلقاء نفسك!! كان كفار مكة يطلبون بعض المعجزات من رسول الله ﷺ، كقولهم: إن كنتَ صادقاً فأحي لنا فلاناً لنسأله، أو اقلب لنا جبال مكة إلى ذهب، مما فيه تعجيز للرسول ﷺ، وإذا قال لهم: هذا لا يمكن إلّا بأمر الله، قالوا: هلَّا اختلقتها واخترعتها من عند نفسك!! وهي سخرية وتهكم بالرسول ﷺ، فأمره الله أن يردَّ سفههم بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي أنا عبدٌ ولست بإله، حتى تطلبوا مني هذه الخوارق؟ ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن حججٌ ساطعة، وبراهينُ قاطعة، من رب العزة والجلال، يكفي برهاناً على صدق رسالتي ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ إذا تلي القرآن فاستمعوا إليه بتدبر وتبصُّر ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ اسكتوا عند تلاوته، لتنالوا رحمة الله عزَّ وجل.